



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرمة المسلم والتحذير من أذيته

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70, 71]... أما بعدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

فيا أيها الناس، اتقوا الله — تعالى — واحذروا أذية المؤمنين، والإساءة إلى الناس أجمعين، إلا بحق ظاهر، قام عليه الدليل البين السالم من المعارض من الكتاب والسنة، والمأثور عن السلف الصالح من هذه الأمة، ليكون لكم برهاناً قاطعاً وحجة دافعة حين تختصمون عند ربكم، فتؤدى الحقوق إلى أهلها، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وتؤخذ المظالم من الظالمين فترد إلى أهلها في يوم لا درهم فيه ولا دينار، بل إن كان للظالم عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، ((وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)) رواه البخاري.

وفي رواية عند مسلم: ((فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار)). وحينئذ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿۝﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿۝﴾ وَصَلَاتِهِ وَبَيْتِهِ ﴿۝﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿۝﴾ [عبس: 34-37]. ويقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ ﴿۝﴾ وَصَلَاتِهِ وَأَخِيهِ ﴿۝﴾ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُسْوِيهِ ﴿۝﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿۝﴾ [المعارج: 11-14].

عباد الله: إن أذية المؤمنين والناس أجمعين بغير حق من أشد المظالم، وأعظم المآثم التي توعدها الله أهلها بالوعيد الأكيد، وتهددهم بالعذاب الشديد، في مثل قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:58]. وقوله سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) الحديث، أي أعلمته أي محارب له. وما ثبت في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صلى الصبح فهو في ذمة الله — أي في أمانه وضمائه — فلا تسيئوا إليه بغير حق، فلا يطلبكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يكبه على وجهه في نار جهنم)). فالذي يؤذي المؤمنين خاصة والناس عامة بغير حق على خطر من غضب الله وانتقامه، وما توعده الظالمين في الدنيا ويوم القيامة، حتى ولو كان المؤذي من أفضل الناس وخيارهم، فقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا سفيان مر — في حال كفره — على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي فأخبره، فقال ﷺ: ((يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)). فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخواني! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي. وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال للمعاذ وقد بعثه إلى اليمن: ((واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)).

أيها المسلمون: وإيذاء المؤمنين وغيرهم من الناس بغير حق له صور منصوص عليها من القرآن وما أثر عن النبي ﷺ من بيان، ويعظم الإيذاء ويتضاعف الإثم وتشتد العقوبة، كلما عظمت حرمة الشخص، أو الزمان، أو المكان، أو المناسبة. ولقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من غير وجه أن النبي ﷺ قال للناس في يوم النحر في أشرف زمان ومكان وجمع حضره ﷺ، وبعد أن قرر الناس على حرمة البلد والشهر واليوم: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم — وفي رواية قال: وأبشاركم — عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب)) الحديث.

فمن أعظم أذية المؤمنين والناس بغير حق قتلهم بغير حق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:32]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:93].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:29-30]. وضح عن النبي ﷺ أنه قال: ((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)) [رواه البخاري].

أيها المسلمون: وإذا كانت هذه حرمة دم المسلم فإن لعنه وهجره وتفسيقه ورميه بالكفر بغير حق فهو كقتله، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ((ولعن المؤمن كقتله))، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: ((إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت

اللجنة إلى السماء فتغلق أبوابها دوها، ثم تمبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دوها، ثم تأخذ يمينا وشمالاً فإذا لم يجد مساعدا رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها))، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)) [متفق عليه]. وفي البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لا يرمي رجل رجلاً بالفسق والكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)) وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: ((المتسابان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم))، وفي سنن أبي داود عن أبي خراش السلمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه))، وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار)).

أيها المسلمون: أما أذية المسلمين بأخذ أموالهم فهي من أعظم الظلم وأكبر موجبات الإثم. قال ﷺ: ((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)) وقال ﷺ: ((من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة)). فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: ((وإن كان قضيباً من أراك)).

أيها المسلمون: ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: ((إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة))، وقال ﷺ: ((إنكم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته - يعني أوضح وأبين - من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإني أقطع له قطعة من النار)) [متفق عليه].

وقال ﷺ: ((لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)) [رواه البخاري]. وأخبر ﷺ أن الدين لا يكفره القتل في سبيل الله وذلك لأنه من حقوق الناس. فمن أخذ للناس شيئاً بغير حق فهو ظلم جزاؤه النار، سواء أخذه من طريق القوة والقهر، أو عن طريق الخديعة والحيلة، أو عن طريق الرشوة، أو بواسطة اليمين الفاجرة، أو بحكم القاضي إذا أخطأ اجتهاده، والمدعي يعلم أنه مبطل، أو كان عن طريق ظلم الناس في الاعتداء على أبدانهم وانتهاك حرمتهم، فكل ذلك ظلم يكون الظالم به عرضة لعقوبة ظلمه في الدنيا والآخرة أو فيهما معاً. فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الظلم؛ فإنه حسرة وندامة وظلمات يوم القيامة.

ومن ذلك الاستطالة في أعراض الناس بالغيبة والبهت والنميمة والتعدي عليهم بالضرب والشتيم وأنواع انتهاك الحرمات، فكل هذه من الظلم التي لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصوم، بل لا يغفر للظالم حتى يغفر له المظلوم، فإن ديوان الظلم من الدواوين التي لا يترك الله منها شيئاً بل يؤخذ بها إلا إذا تنازل عنها أصحابها، فكم من شخص يظن أنه كثير الحسنات ثم يأتي يوم القيامة مفلساً من بين البريات بسبب ما تحمل من الظلمات، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((لتؤذن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلاحء من الشاة القرناء)).

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكّره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].